فلما رأيتها والكتاب في يدها قلت انها تقصد الذهاب الى تلك الناحية وانما قلت ذلك قياساً لما ببني جنسها الذين تقودهم غرائزهم العمياء الى دق رؤوسهم بالجدران بلا سبب ولا داع

وهناك امر آخر يجب الانتباه لهُ وهو شدة عناد المرأة . فلو ان رجلاً من بني جنسها اقسم لها ان في الغابة ذئباً ليقيت على عزمها ولم تحد عن رأيها مهما كان شأنهُ خطيراً في عينيها ولما كنت اعلم ذلك منها لم احاول تحويلها عن عزمها حتى بلغنا الغابة ففعلت ما فعلت ولكنها لم تفهم مرادي وذلك من الغرابة بمكان لاني موقن ان عينيَّ كادتا تنطقان وان أبلد اصدقائي الكلاب فهماً كان يدرك مرادي لو كان مكانها ولكن هذه الآدمية "السامية الادراك" كانت بكماء عمياء

هذا وقد قصصت عليكم باقي القصة والنتيجة التي بانت لها غريبة هي ايسر الامور فهماً فايُّ الامور يحبّب اليَّ معاشرة شخص على هذه الدرجة من البلادة والبله . ألم يكفني اني مشيت معها ساعاتٍ وتركت نومي المنيَّ صباحاً فأ الداعي الى نصيحة نفسي مرة اخرى بلا سبب . أُفٍّ للبشر لا طاقة لي على الصبر عليهم . آه لو كنت اتكلم"

انتهت القصة وما عقبتهُ الكاتبة عليها من دفاع الكلب واحتجاجهِ . ويرجح لنا ان راوية القصة واهمة حلمت حلماً او هجست هاجساً ثم اعتقدت ان ما حلمت بهِ او هجست امر وقع لها حقيقة فسطرتهُ بنية سليمة وعقبت عليهِ والتعقيب حسن ولو لم يحتمل البحث العلمي

النمل وحقائق جديدة في طباعهِ

النمل اقدم طوائف الحيوان حضارة فان نمل جنوبي افريقية كان قبل ان ظهر الانسان على الارض بعصور كثيرة يبني قصوراً باذخات من الطفال ويأسر العبيد ويسترقُّ الاسرى ويستدر اللبن من الانعام ويشنُّ الغارات ويشهر الحروب على الطوائف المعادية. كان الاول في ذلك ولعلهُ يبقى الاخير فانهُ يربي صغارهُ ويقيم مبانيهُ على مدافن امم كثيرة مضت واضمحلت وهو لا يزال يجدُّ ويدأب في عملهِ كما لو كان هذا الكون جديداً في خلقهِ

وليس بين المخلوقات الحية ما يشابه النمل فانهُ بعيد كل البعد عن بقية الحشرات كأنهُ هبط الى الارض من سيار آخر فهو لا يعبأ بالشمس ولا بالنهار ولا بالصوت ولا بالكلام . اعمى اصم ابكم لا ينام ولا يلعب بل يعمل على الدوام في عالم السكوت والظلمة المدلهمة

في نيويورك سيدة اسمها مس ادال فيلد قضت ست سنوات كأنها عائشة بين النمل فانها

بث فيهنّ قرًى صناعية وجعلت تراقب حركاتهنّ واعمالهنّ وتدرس اخلاقهنّ واطوارهنّ حتى اكتشفت امورًا غريبة كانت تطلع عليها مجمع العلوم الطبيعية في فلادلفيا وبعض العلماء الطبيعيين في ولاية مستشوستس دون غيرهم الى ان سمحت اخيرًا بنشرها في الجرائد السيارة وكانت هذه المقالة اول ما نشر منها

تبتل الاناث

اناث النمل مبتذلات على العموم . ففي كل قرية ملكة هي ام جميع رعيتها . وملك لا شأن لهُ في ادارة زمام الاحكام . وطغمة من الراهبات تعملن كل الاعمال . ويمتاز الملك والملكة على سائر الرعية بان بدنيهما اكبر من ابدانها وبان لهما اجنحة . والملكات لا تتزوجن لقلة الاسباب الغالبة في الممالك فاذا لم تستحسن ملكة النمل منظر طالبها او حركاته فان قوانين البلاط تسمح لها بعضهِ وارسالهِ فارغًا . واذا مالت اليهِ قبلتهُ في رأسهِ وباحت لهُ بغرامها وتزوجنهُ . وهي امينة في حبهِ غيورة عليهِ فاذا رآها شاب لبق وافتتن بمحاسنها جزتهُ بالقتل عفةً

واما ملوك النمل فليست سوى معدٍ فارغة وبطون طاوية ورؤوس لا عقول فيها فلا تطعم الصغار ولا تأكل وحدها الاَّ اذا كان العمال في انهماك عظيم وشغل شاغل عنها . ولكنهما مع ذلك عزيزة مكرّمة في كل قرية فان العمال تطعمها وتقبل جباهها وتلحس ابدانها وتصقل اجنحتها

الابصار بلا اعين

واول ما اهتمت السيدة المذكورة بحلهِ هو كيف يبصر النمل بلا أعين ولا نور . فاهتدت الى الجواب بعد بحث دام اربع سنوات . وهو ان لكلّ نوع من انواع النمل رائحة خاصة بهِ تفوح من كلّ فرد من افرادهِ وتعلق بكلّ ما تلمسهُ فهي لهُ بدل اللون . وفي رأس كل نملة قرنان صغيران كالشعرة يموجان في الهواء الى كل جهة وفي طرف كلّ قرن اربعة مفاصل الى ثلاثة عشر مفصلاً كلٌّ منها بمنزلة انف لها . ولكلّ من الاربعة المفاصل الاولى وظيفة خاصة بهِ فالاول الذي في راس القرن لشمّ رائحة البيت الذي تسكنهُ النملة . اقطعهُ فلا تعود تهتدي الى بيتها . والثاني الذي يليهِ لمعرفة الاهل . اقطعهُ فلا تعود تميز بين القريب والغريب والصديق والعدوّ . والثالث لمعرفة الطريق اذا فقدتهُ ضلت سبيلها وتاهت عن طريق قومها ولو كانت معقد الازار من قريتها . والرابع والخامس لمعرفة بيض القرية وصغار الناشئة . اما المفاصل الباقية فلم تهتدِ تلك السيدة بعدُ الى وظائفها

السمع بلا آذان

رأت تلك السيدة بعد التجارب الكثيرة ان النمل لا آذان لهُ وذلك بها وضعت قرية من قراهُ قرب بيانو ونقرت عليهِ فلم يتأثر منهُ وأدنت من النمل كنجة وجعلت تعزف عليها فلم يظهر عليهِ اقلُّ تغير او انفعال ثم وضعت القرية على البيانو ونقرت عليهِ فجعل النمل ينفر ويطفر كأنهُ أُجفل ونقلتهُ من على البيانو الى مائدة واخذت دبوساً وامرَّتهُ على المائدة في مكان يبعد عشر اقدام عن القرية فابدى من الحركات والانفعالات ما ابدى وهو على البيانو . فاستدلت من ذلك ان النمل يسمع بارجلهِ اي ان ارجلهُ تنقل الى ابدانهِ نفس التأثير الذي تنقلهُ اذن الانسان الى دماغهِ

قوة النمل وصبرهُ

من المعروف عند علماء الحيوان ان النملة اقوى الحيوانات بالنسبة الى جسمها . والاعجب في النملة قدرتها على احتمال التعب مدة طويلة وقد جربت السيدة المشار اليها ذلك فوضعت عدة منها في مكان مسدود لا طعام فيهِ فالضعيفة ماتت في سبعة ايام وبعضها عاش خمسين يوماً وبقيت نملة مئة يوم او اكثر تمشي في جوانب سجنها وهي لم تذق طعاماً الى ان ماتت . ولم يكن يظهر على النملات قبل موتها ان قوتها خارت بل كانت اذا حان اجلها تسقط بغتةً ميتةً لا حراك بها

وفي النمل نوع يأكل افرادهُ القليل ويصوم الواحد منها اربعين يوماً وكأنهُ لم يأت امراً عظيماً فلذلك ترى انواع النمل الاخرى تستعبد هذا النوع وتستخدمهُ في اشق الاعمال لانهُ يرتضي بالقليل طعاماً

ومما اكتشفتهُ انهُ اذا قلَّ الطعام في قرية ما أُكره صغار النمل على العمل وهن لا يزلن اطفالاً . ومدة طفولية النمل من ٢٠ يوماً الى مئة يوم ونتيجة العمل الباكر فيهنَّ انهُ يؤخر نموَّ ابدانهنَّ فينشأن عجافاً ضئالاً ويبقين اقزاماً مدى العمر

على ان الماء اشدُّ لزوماً للنمل من الطعام فلا يعيش بلا شرب طويلاً . وقد وجدت مس فيلد ان تغريق النمل يكاد يكون مستحيلاً فانها كانت تضع البعض في قمر اناء فيهِ ماء مدة ثمانية ايام فيبقى تحت الماء تلك المدة كلها لا يبدي حراكاً كأنهُ ميت . فاذا اخرجتهُ وجففتهُ انتفض ومشى على جاري عادتهِ

وقد تفقد النملة رجلاً من ارجلها فلا يضر ذلك بها البتة . واذا قطعت رجلان منها بقيت حيةً تسعى على الاربع الارجل الباقية شهراً او نحو ذلك . وفقدت ملكة من ملكات

النمل بطنها فبقيت حيّة تأكل بقابلية مدة ١٤ يومًا . والعجب من ذلك كله واغرب ان نملة فقدت رأسها فعاشت بعدهُ ٤١ يومًا . وبقي بدنها يهيم بلا رأس تلك المدة حتى اقتنع ان الموت افضل من حياة بلا رأس

عواطف النمل

للنملة عواطف وتصورات . فهي تحب وتبغض وتفرح وتحزن . وتعرب عن حبها لنملة اخرى بلحسها اياها والوقوف الى جنبها واطعامها ورَبتها على رأسها . وتعرب عن بغضها لها بجرّها اياها حول قريتها وعضّها ونهشها ثم التكيل بها وتمزيقها ارباً ارباً وطرحها على دمنة القرية عبرة لمن اعتبر

وارادت مس فيلد ان ترى ما اذا كانت النملة تتذكر الحوادث الماضية فجاءت بقريتين وعاملت اهل الواحدة باللين والتؤدة فكانت تطعم افرادها بيدها وتسمح لهنّ بالطواف حول اصابعها وفي راحة كفّها وتبالغ في اكرامهنّ ومجاملتهنّ فانسنّ بها ولم يعدن يخفنها ويعضضنها وعاملت اهل القرية الاخرى بالخشونة والجفاء فكانت تذيقهنّ من العذاب الوانًا كأن ترفعهنّ من ارجلهنّ وتغطسهنّ في الماء البارد وتخرب طرقهنّ وتعيث فسادًا في دورهنّ وتلقي الرعب في قلوبهن وتتركهنّ فوضى . فصارت اذا دنت من قريتهنّ فيما بعد ينفرن منها نفور الظليم واذا امسكتهنّ بيدها اشبعنها عضًّا وبذلن المجهود في الافلات منها

ونقلت ملكة النمل من قريتها الى مكان آخر قبل فقس البيض ثم أعادتها اليها بعد ٥٢ يومًا اي بعد ان فقس البيض وصارت صغار النمل تجول من مكان الى مكان فعرفت ملكتها حالاً واحلتها على الرحب والسعة . وأبعدت ملكة اخرى عن قريتها ٧٣ يومًا ثم أُعيدت اليها فتردد الصغار هنيهة في معرفتها واستولى الهياج عليهنّ في بادىء الامر ولكنهنّ لم يلبثن ان عرفنها فاجتمعن حولها واخذ اربعة منهنّ يلحسنها ووثبت أخرى على منكبيها فرحًا وضجت القرية بالافراح ذلك اليوم

ومن اغرب التجارب التي جربتها انها اخذت بعض النمل من قرية منذ ثلاث سنوات ووضعتهُ في مكان اعدتهُ لهُ . وبعد مضي تلك المدة اخذت نملتين اخريين من القرية نفسها ووضعتهما بين النملات الاولى فاشتبهن فيهما وخامرتهنّ الريبة في امرهما ولكنهنّ لم يلبثن طويلاً حتى عرفنهما فصنعن لهما مأدبة فاخرة من طعامهنّ

هذه ادلة تدل على ان النملة تتذكر الحوادث الماضية . وابلغ من ذلك ان لها قوة الاستنتاج والاستدلال كما يؤخذ من التجربة الآتية . وهي ان قطعة زجاج وضعت على باب

القرية تخرج النمل منها واخذ يجمع التراب عليها حتى صيرها مظلمة بعد ما كانت شفافة وذلك انهُ لما كان النمل يكرهُ النور فانهُ منع دخولهُ الى قريتهِ بما جمعهُ من التراب على الزجاج وهذا العمل لا يمكن بلا قياس واستدلال . وتركت قرية سهوًا في احد جوانب الغرفة ذات مساء قرب عرمة من التراب المبلل فشرع النمل في البناء حتى اذا اصبح الصباح كان قد بنى بيتًا لهُ باب ونافذة ولكنهُ تداعى الى السقوط حالما جف التراب . وهذا دليل على ان النمل يستطيع ان يجري على مقتضى احوال الزمان والمكان ويبني منازل لم يرَ لها مثالاً من قبل

وتظن مس فيلد ان للنمل محاكم للقضاء ولكنها ليست على يقين من ذلك . فقد شاهدت النمل مرتين يصطف في دائرة ويقف ساعات بلا حراك ثم يهجم على نملة ويقبض عليها ويقتلها

حروب النمل

مما عرف عن النمل انهُ يكره المهاجرة كرهًا عظيمًا وان انواعهُ المختلفة وقبائل النوع الواحد في حرب دائمة بعضها مع بعض وانواعهُ كثيرة تزيد على ٣٥٠٠ نوع لا تعرف للصلح اسمًا ولا للسلام رسمًا

ورب سائل يسأل لمَ يشنُّ النمل الغارات و يشهر الحروب . فقد أجابت مس فيلد على هذا السؤال بما يشير الى وجود اسرار وأُخرى خفي حلها على علماء الطبيعة وهو ان النملة تعلم صغارها في الثلاثة الايام الاولى من حياتها فتدور الصغار في جوانب القرية وهي تجيل انوفها اينما كان وتمس بها كل ما يعرض في طريقها . ومتى انتهت الثلاثة الايام ينتهي دور تعلمها فهي تتعلم قليلاً وتنسى قليلاً . وكل ما تتعرف بهِ في تلك المدة تسالمهُ وتصادقهُ وكل جديد يعرض لها تعاديهِ وتحذرهُ . فما تعرفهُ فهو الحسن الجيد ومالا تعرفهُ فهو القبيح المستنكر

فاذا أردت مصادقة نملة فتعرَّف بها في الايام الثلاثة الاولى من ولادتها لان ايامها المدرسية تنتهي بعد ذلك فتعد كل علم بعدها فضلة يستغنى عنها بل هرطقة يجب نبذها . وقد جرب ذلك فجيء ببعض نملات من انواع مختلفة قبل بلوغها اليوم الثالث من عمرها ووضعت في مكان واحد فعاشت بسلام وامان كانها اعضاء عائلة واحدة . ولكنها حالما بلغت اليوم الثالث من عمرها جعلت تفتك بكل غريب لم تتعرفهُ ولا شمت رائحتهُ قبلاً

وقد يتردد النمل احيانًا في تمييز العدو من الصديق . فقد وُضعت مرة بيضة نملة صفراء في قرية من النمل الاسود فقست واخذت تقضي حاجات مربيتها وهي آمنة غوائل الايام حتى اذا كان ذات يوم وقد راب اهل القرية امرها وفطنوا لاصلها وفصلها هجموا عليها بغتة ومزقوها اربًا

ووضعت نملتان كبيرتان في قرية يسكنها اخوتهما واخواتهما من امهما فعرفنهما ولكن الصغار لم يعرفنهما فهجمن عليهما واوسعنهما ضربًا وقرصًا وحاولن جرهما الى دمنة القرية لقتلهما. وكانتا اقوى منهن بكثير ولو شاءتا لكلتاهن ولكنهما اظهرتا من الصبر وسعة الصدر ما لا مزيد عليه وقدمتا الى اخوتهما واخواتهما هدايا من طعامهما استجلابًا لمن كأنهما تقولان نحن من اخوتكن ومن امٍ واحدة فماذا تفعلن بنا. فقفه الصغار مرادها وخلينهما وشأنهما

تدبير منزلها

النملة اكثر الحشرات تدبيرًا لمنزلها كما انها اشدهن ميلاً الى الحروب. وهي حريصة على النظافة تكره القذارة وتحمل الماء بفيها لقضاء حاجاتها المنزلية وتفرز غرفة خصوصية تدخرفيها مؤونتها وتحمل اقذار القرية الى مزبلة في اقصى اطرافها. ولاغنى لها عن الماء ساعة ولو عن شيء مبلول به واذا رأت صغارها وسخة غسلتها بالماء

واشهى طعامها الذباب. فاذا لم تصب منهُ صيدًا تعللت بما حضر من الخنافس والعناكب والخبز والدهن والاثمار والحلوى ولا تأكل اللحم المخبر. وهي متأنقة في اختيار طعامها لا تأكل الاَّ الطعام الشهيّ وتنبذ كل تافه وضارّ كما ثبت لمس فيلد فانها صنعت فطيرة من ذباب مفروم ودبس ودستْ في المزيج سمًّا ذا لون احمر وسمًّا آخر ذا لون ازرق وقدمتهُ الى النمل فاقبل يأكل منهُ ومس فيلد تظنُّ انهُ سيموت كلهُ ولكنها دهشت جدًّا لما لم ترَ نملة منهُ ماتت وحارت في ذلك واخيرًا فحصت القرية فرأت في بعض زواياها عرمتين من السمّ الذي دستهُ لهُ في طعامهِ فانهُ فرزتهُ عن مركبات المزيج الاخرى فاكل ما يؤكل ونبذ ما لا يؤكل

والنمل يؤثر الموت جوعًا على أكل بعضهِ بعضًا او أكل بيض ذريتهِ. الاَّ ان في بلاد المكسيك نوعًا يسمى نمل العسل شذَّ عن هذه القاعدة. فقد جرت عادتهُ ان يختار كلَّ صيف عددًا من ذكورهِ فيعلفها عسلاً حتى تسمن فاذا جاء الشتاء وقلَّ الطعام اقبل على سمناتهِ ينهشها ويقتات بها فيسلم من الجوع

بعض عادات النمل

يظهر للناظر الى سرب من النمل ان كلَّ نملة مثل الاخرى في منظرها وحركاتها حتى كأنها أفرغت في قالب واحد. وحقيقة الامر ان بين افراد النمل من الفرق ما بين افراد الناس فمنها ما يتأنق في زينتهِ فيقضي ساعة في ذلك احيانًا. وفي رجل كلّ نملة ما يشبه ان يكون مشطًا تمشط بهِ شعرها وتنظف بدنها. والصديقات تساعد بعضها بعضًا في النظافة والزينة.

واذا أُمسكت نملة بعد ما تنتهي من التزين ثم أُفلتت عادت تنظم ما اختلّ من زينتها وتصلح ما افسدتهُ يد الانسان منها

ومن النمل ما هو صخّاب محب للمشاجرة والخصام . وكثيرًا ما يعمد الى المنازعة والقتال بلا سبب ظاهر فترى نملتين تختصمان في قارعة الطريق والنملات الاخرى سائرة في سبيلها مكبَّة على عملها لا تلتفت اليهما . ومتى تغلبت القوية على الضعيفة جرّتها الى مزبلة القرية حيث تقتلها . ومن السهل تمييز النملة الخائفة من غيرها فان الخائفة تخرّ الى الارض خاشعة كأنها هرٌّ يقز للوثوب على فريستهِ فاذا تحوّل خوفها ذعرًا تجمعت مثل الكرة ولم تبدِ اقل مقاومة

وترى بينها كثيرًا من الكسالى والبهل التي لا عمل لها وانما هي عالة على اهل القرية

ومنها ما تغلبهُ العواطف النفسانية كالحزن حتى لتراهُ ينفطر قلبهُ منهُ فان ملكة تزوجت وكانت محبة لزوجها الى حدّ الشغف تبالغ في الدلّ عليهِ ويبالغ في التودد اليها . ولما انقضى على زواجهما مئة يوم توفي الملك فاستولى الجزع على الملكة ودارت حول جثتهِ مخفوضة الرأس مكسورة الجناح ثم اسرعت واتت بعشرين بيضة من بيوضها وجمعتها على جثتهِ كأنها تكفنهُ بها . ولما ساروا بهِ لدفنهِ فارقها الرشد والصواب فعينوا لها سبعًا من الحشم يرافقنها ويعزينها فمزقتهنَّ اربًا كأنها اشتبهت فيهنَّ وحسبت انهنَّ كدن لزوجها وقتلنهُ اغتيالاً

ومن اغرب ما شاهدتهُ مس فيلد انها جاءت بنملة صفراء كبيرة وألقتها بين خمس نملات غريبة عنها فوقفن مدهوشات لا حراك بهنَّ وجعلت النملة الصفراء تخطر بينهنَّ ذهابًا وايابًا وهي لا تحسب لهنَّ حسابًا ثم رُفعت عنهنَّ فرفع عنهنَّ السحر وعدن اجسامًا تتحرك وتسعى بعد ما كنَّ كالخشب المسندة . فما اشبه فعل النملة هذه بتنويم المنوّم او بسحر الساحر

وقد نصح سليمان الحكيم الكسالى ان يذهبوا الى النملة ويتعلموا منها الاجتهاد ولو دقق البحث لوجد في النمل المجتهد والكسلان . الذي يكدح دواماً والذي يعيش من تعب غيره كما في نوع الانسان

ودرس طبائع النمل سهل على من يصنع لهنَّ قرية شفافة كأن يأتي بلوحين من الزجاج الملون بلون يرتقالي طول كل منهما عشرة سنتمترات وعرضهُ ثمانية ويضع الواحد فوق الآخر ويصل بينهما بقدة من منشفة حتى يصير من ذلك صندوق جوانبهُ الاربعة من المنشفة واعلاهُ واسفلهُ من الزجاج ويقسمهُ بحاجز في وسطهِ الى غرفتين ويكون في الحاجز باب ويضع في احدى الغرفتين طعامًا وفي الاخرى اسفنجة مبلولة ويضع النمل فيها فيرى اعمالهُ المختلفة من غير ان يزعجهُ